الثورة الجمعة 3ذو الحجة 1433هـ - 19 اكتوبر 2012م العدد (17502)

شاهد على واحدية الثورة اليمنية

دور محافظة إب في تفجير ودعم ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م

بحكم الجوار كانت إب هي العمق الاستراتيجي لثوّار ١٤ اكتوبر

لم يكن قيام ثورة الرابع عشر من أكتوبر عام ١٩٦٣م محض صدفة أو نتاج جهد فردي أو مناطقي بقدر ما كان نتيجة جهد شعبي متكامل لكل أبناء اليمن من مختلف المناطق التي كانت تحت الاحتلال البريطاني أو تحت نيْر الكهنوت الإمامي على السواء. ولهذا فقد لعبت محافظة إب الدور الأبرز في دعم ثورة ١٤ أكتوبر من خلال العتاد والرجال والمال والسلاح الذي تدفق من هذه المحافظة بشكل منقطع النظير إلى المقاتلين الأبطال في جبهات الضالع والشعيب والحبيلين وردفان. وذلك لتماس محافظة إب والتصاقها مع تلك المناطق فضلاً عن الروابط الوطيدة وعلاقات النسب التي تربط أبناءها بإخوانهم وأقاربهم من سكان تلك المناطق الملتهبة بالقتال ضد الاستعمار البريطاني.

استطلاع/ فايز البخاري

● ومن محاسن الصدف وهبَات الأقدار أن كان أبطال ومفجرو ثورة الرابع عشر منَ اكتوبر هم أنفسهم الذين شاركوا ببسالة خلال العام السابق لها في حماية الثورة السبتمبرية والدفاع عن نظامها الجمهوري الذي ألهم الجميع ضرورة التصدي لقوى الرجعية والاستبسال في الدفاع عن النظام الجمهوري باعتباره المخلّص الوحيد لشعبنا من التبعية والاستعمار والاستبداد.

وكانت الأسلحة التي عاد بها أبطال الضالع وردفان والحبيلين من صنعاء والتي تم إدخال معظمها سراً من بريطانيا عن طريق قيادة محافظة إب وقائدها الشهيد البطل أحمد بن أحمد الكبسي والجيش المتواجد بقطاع قعطبة بقيادة اللواء علي محمد السعيدي، كانت تلك الأسلحة هي النواة الأولى التي فجّرت الثورة ضد الاستعمار البريطاني وبفضلها تمكن المقاتلون من تكبيد القوات البريطانية الخسائر الفادحة،خاصة وقد اكتسبَ أولئك المقاتلون خبرات قتالية في حربهم الوطنية بصنعاء دفاعاً عن الثورة السبتمبرية، فضلاً عن المعسكرات التي تم فتحها بتوجيه من الزعيم جمال عبدالناصر وتحت إشراف الزعيم عبدالله السلال.

●ونظراً لأنّ قيادة الثورة في صنعاء لم تكن ترغب في استثارة بريطانيا أكثر حتى لا تجاهر في دعم القوات الملكية فقد أثرت عدم الاعلان عن دعم مباشر لثوّار ١٤ أكتوبر ووجّهت سراً الشهيد أحمد بن أحمد الكبسي قائد لواء إب عقبَ الثورة والذي استُشهدَ عام ١٩٦٤م، وجّهته بدعم ثوار ١٤ أكتوبر بكل ما هوَ ممكن من المال والسلاح والرجال،فكان الدعم غزيراً وسخياً من كل أبناء محافظة إب الذين رأوا في ذلك واجباً وطنياً مقدساً، وأنّ عليهم خاصة تقع المسئولية المباشرة بدعم ثورة ١٤ أكتوبر بحكم الجوار من المقاتلين في ردفان والضالع ولأن القيادة في صنعاء منشغلة بحربها الضروس مع القوات الملكية وأذنابها من المرتزقة التي تحاول جاهدةً وأد الثورة في مهدها.

وبالتالي فقد هب أبناء إب لدعم ثورة ١٤ أكتوبر دون توان أو تردد،وكان المناضلون من أبناء الضالع وردفان يصلُون تباعاً إلى إب للتموين والاستراحة وأخذ كل ما تتطلبه المعارك ضد القوات البريطانية. وقد كشفَ تقرير بريطاني الصورة الجلية عن ذلك الدعم من خلال ما ذكره عن الشهيد أحمد الكبسي الذي أورد ذكره ٤ مرات، ما يدلل على ما كان للشهيد بطل الثورتين من تأثير قوي ومباشر في دعم الثورة الأكتوبرية.

مأساةُ وطن

● الأستاذ المناضل محمد زين العودي من جهته أكّدَ أنّ محافظة إب كانت تُشرعُ أبوابها دائماً وأبداً لكل مناضلي الجنوب من أبناء ردفان والضالع والحبيلين كما كان هو حال مدينة عدن الباسلة التي فتحت أبوابها لكل اليمنيين من مختلف المناطق وظلّت لعقود من الزمن هي الحاضنة الأولى وبلا منازع لكل الوطنيين والمناضلين الذين عملوا فيها ومن خلالها ضد الإمامة في الشمال والاستعمار البريطاني في الجنوب. ولم يمر يوم وشعر فيه المناضلون أنّ قضية الاستعمار منفصلة عن قضية الإمامة؛ فكلاهما مأساة لوطنٍ واحد،وعلى أبناء هذا الوطن جميعاً تقع مسئولية تحريره من الاستبداد الإمامي والاستعمار البريطاني على السواء. وهو ما كان بالفعل. فانخرطَ كل أبناء اليمن من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب في نصرة ثورة ٢٦ سبتمبر والدفاع عن نظامها الجمهوري الذي كان حلم كل اليمنيين. وقبلها رصوا صفوفهم وجيّشوا جهودهم من أجل تقويض العرش الامامي وإقلاق مضجع بريطانيا التي اضطرّت في الأخير للخروج صاغرةً ذليلة من اليمن السعيد بفضل أولئك الكوكبة من فتية اليمن الشجعان الذين هبوا لاقتلاع عرشها ببسالةٍ نادرة من مختلف مناطق اليمن، وسقطَ على ثرى عدن العديد من الشهداء الأبرار الذين يمثلون كل المحافظات، لتكون بذلك ثورة ١٤ أكتوبر ثورة كل اليمنيين مثلما كانت ثورة ٢٦ سبتمبر ثورة لكل اليمنيين. ومثلما سقطَ أبناء المحافظات الجنوبية شهداء في يسلح ومناخه وعيبان وخولان سقط أبناء المحافظات الشمالية شهداء في عدن والضالع وردفان. وعلى ذلك ومن خلال وقائع التاريخ لا يمكن لأيٍ كان أن يفصل بين ثورتي اليمن ولا أن يجير أياً منهما لجهةٍ ما.

استراليا اليمن

● من جهته تحدّثَ المناضل الشيخ عبدالعزيز الحبيشي عن دوره ودور محافظة إب في دعم ثورة الرابع عشر من أكتوبر المجيدة بالقول:

بالنسبة لدوري في ثورة ١٤ أكتوبر فقد تمثّلَ كبقية أعيان ووجهاء محافظة إب الحماية لأماكن اندلاع ثورة ١٤ أكتوبر في ردفان والضالع، في الدعم المادي بالمال والسلاح. هذا أولاً، وثانياً فقد قدتُ حملة شعبية من مقاتلي إب مع بعض المشائخ للالتحام بقيادة قعطبة من أجل دعم جهود ثوار الضالع وردفان؛وتمكّنت القوات من عبور الحدود لولا التوجيهات التي أتت من القيادة بصنعاء من أن هناك معاهدة مع بريطانيا ولا نريد استثارتها ونحن في حرب ضروس مع القوات الملكية التي تهدد العاصمة صنعاء نفسها. فأثرنا العودة وعدم الظهور في الواجهة؛ لكنّا بقينا على تواصل مع ثوار ردفان والضالع وندمهم بكل ما يحتاجونه. وقد ظلت الوفود من قبلهم تتوالى على قيادة محافظة إب والدعم لهم مستمراً. وكان منزلي آنا شخصياً وجهة للكثير منهم أمثال صالح مصلح وعلي عنتر وعلي شائع،ولم نبخل عليهم بشيء، حتى أنّ المناضل طيب الذكر الشهيد علي عنتر كان يقول أنّ محافظة إب بالنسبة لثوّار ١٤ أكتوبر هي بمقام إستراليا لبقية المناطق،فالدعم والمؤنة منها لم تكن تنقطع وبصورة أغنتهم عن بقية المناطق والاستيراد الخارجي.

– حين كانت تشتد المعارك يلجأ الثوار إلى مديرية قعطبة للاستراحة والتموين

– كان مناضلو الضالع وردفان يصلون تباعاً إلى إب للتزود بالسلاح

مرارة بالغة

● ويضيف الحبيشي متحدثاً عن قائد لواء إب ودوره في دعم ثوّار أكتوبر:

دور الشهيد أحمد بن أحمد الكبسي كبير وعظيم جداً، ولا يكاد بطل أو ثائر من ثوار ثورة الرابع عشر من أكتوبر المجيدة يتحدث عن مراحل النضال إلاّ وأتى بالذكر الطيب على هذا البطل المثالي الذي أبلى بلاءً حسناً في ثورة ١٤ أكتوبر كما أبلى في ثورة ٢٦ سبتمبر، وبذلك استحقّ وعن جدارة لقب ((بطل الثورتين)) الذي أطلقَهُ عليه المناضل ناجي علي الأشول عضو مجلس قيادة الثورة.

ويكفي أن تعرف أنّ بريطانيا كانت تحس بمرارة بالغة من أدوار الشهيد أحمد الكبسي في دعم ثورة وثوّار ١٤ أكتوبر، وكان في مُقدمة مَن ترصد تحركاته وما يقوم به تجاه الأكتوبريين. ونظراً لهذه المكانة المرموقة والهامة والحسّاسة للشهيد الطبسي فقد وردَ ذكرُه أربع مرات في أحد التقارير السرية البريطانية التيَ رفعها مسئول العمليات البريطانية بالضالع المدعو (أنيكس) بتاريخ ٢٨ ديسمبر عام ١٩٦٣م عقب قيام ثورة أكتوبر بحوالي شهرين.

حروب طاحنة

● ويمضي الشيخ الحبيشي يُفنّد الدعم المُقدَّم من محافظة إبّ وقيادتها ومن تعز وتُجارِها لثورة الـ١٤ من أكتوبر المجيدة:

حجم ثورة أكتوبر كبير جداً، لكن لا تنسى أنّ تلك الجهود وما كان يتم تقديمه من إب وما يتم على أرض محافظة تعز من تدريب للعناصر المقاتلة في صفوف ثورة ١٤ أكتوبر،أن تلك الجهود كانت جبّارة مقارنة بالأوضاع التي كُنّا نمرُ بها والحالة المعيشية الصعبة للمواطن اليمني آنذاك. فقيادة الثورة في صنعاء – ونحن منهم أيضاً– مشغولة تماماً بمواجهة فلول الملكية والتصدي لهم في حروب طاحنة شملت العديد من الجبهات في مأرب وخولانَ والحيمتين وبلاد الروس والمحابشة والقارة وحجة وصعدة والجوف، يعني أنّ جهدها موزع على كل المناطق،وقوتها لا تلبث أن تستقر في منطقة حتى تزمع الرحيل إلى منطقة أخرى. حتى نحن المسئولين في مكاتب الحكومة كنا نوزع أوقاتنا وأدوارنا بين المكاتب الحكومية وجبهات القتال. ومن النادر أنك تجد مسئولاً كان يمكث في مكتبه ولا يغادره لجبهات القتال او لحشد المتطوعين من القوات الشعبية.

لهذا فقد كان الوضع صعباً على قيادة الثورة في صنعاء وهي لا تزال لتوها تستلم دولة بلا أدنى مقومات الدولة، بل كانت لمّا تزل بعدُ تتشكّل ملامح الدولة، والوضع المادي للدولة وصندوق مصروفاتها شبه فارغ لولا المعونات التي جادت بها بسخاء وبحس قومي نادر مصر عبدالناصر. ما جعلَ الدعم المُقدّم من حكومة صنعاء محدوداً مقارنةً بما كنّا نريد ويريده مقاتلو ثورة ١٤ أكتوبر. وهذا ما أقرتْ به بريطانيا من خلال تقريرها السري المؤرخ بـ٢٨ديسمبر ١٩٦٣م والذي جاء فيه (يُعتَبر المال هو الشيء الوحيد الذي لا تستطيع اليمن تقديمه بسهولة بسبب شحّته وكذلك لتدنّي قيمة العُملة الجديدة).. ورغم ذلك حاولنَا في محافظتي إب وتعز بحكم الجوار أن نقوم بتغطية وسد ذلك الفراغ والنقص في المجهود الحربي لدعم ثورة ١٤ أكتوبر بقدر المستطاع بل وفوق طاقتنا أحايين كثيرة. وفي الفترات التي أعقبتْ اندلاع ثورة أكتوبر كاد الدعم المركزي يختفي تحت ضغوط بريطانيا التي جيّشت المرتزقة لتدريب وتسليح فلول الملكية من أجل إحكام القبضة على القوات الجمهورية ووأد الثورة السبتمبرية، الأمر الذي دفع الزعيم جمال عبدالناصر إلى توجيه قيادة القوات المصرية في اليمن إلى فتح معسكرات تدريب سريّة في تعز كان لها كبير الأثر في دعم ثوّار أكتوبر. وفي إب بقي الدعم مستمراً حتى بعد استشهاد قائد اللواء بطل الثورتين الشهيد أحمد بن أحمد الكبسي عام ١٩٦٤م،حيث استلمَ قيادة لواء إب المناضل حسين شرف الكبسي فجاء إليه وفد من الضالع وردفان يعزونها باستشهاد أحمد الكبسي ويطلبون منه مواصلة الدعم الذي كان يقوم به الشهيد؛فالتزم لهم على الفور بدافع من الحس الوطني المسئول تجاه قضية وطنية هامة رغم عدم توجيه القيادة في صنعاء له بذلك ورغم عدم معرفته بذلك الاتفاق بين ثوار أكتوبر والشهيد أحمد الكبسي.

– الشهيد أحمد الكبسي قائد لواء إب لعب الدور الأبرز في دعم مقاتلي ردفان والضالع

– في إب وتعز فُتحت المعسكرات لتدريب المقاتلين ضد الاستعمار البريطاني

تقرير استخباراتي

● فيما يقول المناضل صالح عبدالله مثنى: كانت الانتفاضات تتواصل لأنها كانت تجد لها في مدينة قعطبة وأراضي شمال الوطن الملاذ الآمن والداعم وكان بعضها يتراجع لتواطؤ الإمام أحياناً بالتطبيق على مقاتليها بفعل الضغوط البريطانية عليه.

ويشير التقرير الاستخباراتي السري البريطاني الموجّه بتاريخ ٢٨ ديسمبر عام ١٩٦٣م إلى أنّ محافظة إب وقائدها آنذاك الشهيد أحمد بن أحمد الكبسي هما مَن يُقدّم الدعم لأولئك المناضلين الذين جرّعوا القوات البريطانية المُرّ ولقنوهم دروساً لا تُنسى في البسالة والشجاعة والتضحية، بل وساموهم سوء العذاب.

ويذكر التقرير أن حوالي ٨٠ شخصاً من مشيخة القطيبي قد وصلوا إلى قعطبة من صنعاء وهم مجهزون ببنادق آلية من نوع ما، وأضاف التقرير في بند آخر: بعض الآليّات تم نقلُها إلى هضبة مريس، لذلك فإنّه ينبغي أن تقوم الحكومة الفيدرالية (أي حكومة الاتحاد المكوّنة من مشائخ وسلاطين وأمراء المحميّات في عدن) بالانتقام من " قعطبة" بسبب الدعم الذي تقدمه اليمن (أي الجمهورية العربية اليمنية التي تمثل شمال الوطن آنذاك) عبرها للمنشقين من ردفان. كما أنه ينبغي في الوقت ذاته الاعداد لضربة ضد المتمردين (الثوّار) في "لواء إب" الذين تمكّنوا من تحقيق انتصار في الأيام الماضية. وعلى الرغم من ذلك فإنّ الوجود المصري ينذر بسوء.

هذه هي الثورة

● فيما تحدث المناضل اللوّاء علي محمد السعيدي قائد منطقة قعطبة آنذاك بالقول:

تحرك الأستاذ قحطان الشعبي وكان يشغل وزير شؤون الجنوب وزملاؤه بعد التنسيق مع القيادة المصرية في مدينة تعز والذي كان المسؤول عنها العقيد صفوت، والمقدم رجائي، وفتح معسكر صالة في ٤ يناير ٦٤م.

بعدها استشهد أحمد بن أحمد الكبسي رحمه الله الذي كان الداعم الأساس لثوّار أكتوبر عند خروجه من صنعاء متوجهاً إلى إب في محل قحازة وأسروا من بجانبه، وأرسلت حملة بقيادة العميد عبده محمد قايد وشارك فيها مجموعة من أبناء الضالع وردفان وحل محل الشهيد في قيادة محافظة إب اللواء حسين شرف الكبسي الذي التقى، بعد تسلمه العمل، بالأستاذ سعيد العكبري واثنين من زملائه من قيادة الجبهة القومية وطلبوا من اللواء حسين شرف الالتزام بما كانوا متفقين عليه مع الشهيد أحمد بن أحمد الكبسي والتزم لهم بذلك واستمر الإعداد لبدء معركة التحرير وكانت مديرية قعطبة هي الملاذ الآمن لثوار ١٤ أكتوبر ومركز دعمهم وتأمين طرقهم، وفي شهر تموز ١٩٦٤م تحركت الفصائل للعمل الميداني: خمس فصائل على رأس كل فصيلة قائد ميداني هم علي أحمد عنتر وقايد صالح الثوير وعلي شائع هادي وصالح مصلح ومحسن ناجي العقلة وعبدالمجيد المنصوب، ولا ننسى عبدالله سعيد الشاعري وانضم إليهم، بعد فترة علي بن علي هادي وعقالهم في مدينة قعطبة الحاج محمد المنصوب والشيخ محمد عبدالكريم والشيخ صالح مثنى وقايد خزينة، وبعضهم لا أذكر أسماءهم.

بعد أن اشتغلت فصائل التحرير قامت السلطات البريطانية وأمير الضالع بتشكيل مليشيا لضرب قعطبة وكانت العمليات رد فعل من الثوار على المعسكرات البريطانية ورد فعل من المليشيات البريطانية الأميرية بقيادة الشيخ عمر محمد العبد الحازه جحاف وكانت الحرب سجالاً.

حرك الضابط السياسي كتيبتين من جيش الليوي كان أهمها الكتيبة السادسة بقيادة علي عبدالله الميسري التي ألحقت بالثوار خسائر من القتلى والجرحى وارتفعت حدة القتال وطلبنا دعماً من القيادة في "إب" دعمنا برجال وذخائر فدعمونا بسرايا من المجندين بعد الثورة، سرية الدميني وسرية خشافة وسرية الدعيس وتحرك اللواء علي محمد الشامي إلى قعطبة وكان يومها رئيس العمليات الحربية بصنعاء وتحقق بصدق ما كنا نتوقع وتمّ دعمنا بعدد من البوابير والذخيرة.. وقال كلمة مؤثرة عندما شاهد في المساء الحرب بين الثوار والمعسكرات البريطانية والنار تشتعل في كل منطقة الضالع: "هذه هي الثورة".